

بقلم

حسين مروه



## قرأت القدر الماضي من الآداب

الأدب الذي نريد : منير البعلبكي

يفتبط الأديب العربي التقدمي ، ان يفتتح واحد من اصحاب هذه المجلة ، جزءاً من أجزاءها ، بمثل هذه الفاتحة الواعية ، وهو يضع عينه ويده على حقائق حياتنا العربية ، فيرى ، ويلمس ، ويحس هذه الحقائق غير مصروف عنها بؤهم او خيال او غرور ، وغير مخدوع عنها ببارقة من « سراب » الأضاليل ، وما اكثر ما يعثون اليوم في صعيد حياتنا العربية من ألوان الأضاليل ...

ويفتبط الأديب العربي التقدمي كذلك ، ان يكون اصحاب هذه المجلة ، على وعي واستيعاب لهذه الحقائق الواقعة ، وان ينظروا الى الأدب من هذا الأفق ، فيروا اليه انه رسالة والتزام ، لأهمية وتسليية وترف ،

فاذا هو يعايش الحياة العربية في صعيدها الواقعي ، يتلذذ بآلامها ، ويتنور بآمالها ، ثم يحاول ان يبدع من الآلام قوة دافعة وإرادة واعية ، وان يجعل من الآمال صوي ومعالماً تتوضح بها الطريق الى الغاية ، فاذا هذه الآلام وهذه الآمال جميعاً قد استطاع الأدب ان يبني منها حياة جديدة لنفسه ، وحياة جديدة لقومه وشعبه .

وإننا لنأخذ من هذه الفاتحة ، ومن فاتحة سابقة لأحد اصحاب هذه المجلة ، حجة عليها ، كلما رأينا منها انحرافاً عن هذا « المنهج » ، ونريد ان نقول لها ، كذلك ، انه ليس يعفيها هذا « التخطيط » من ان يتوافق الرأي والسلوك معاً في سيرتها الآتية كلها .

تجارب الديمقراطية العربية : محمد النقاش

يجد القاريء في هذا المقال تناقضاً ظاهراً بين هذه الصورة الصادقة المثيرة التي يرسمها الكاتب الفاضل لآثار المستعمرين

الغربيين في حياتنا العربية ، وبين ما يريد ان يعترف لهم به من فضل « الاستعمار » المشتق من « العمران » وما يريد ان يدعونا اليه من الأخذ برؤوس أموالهم في استثمار مكناتنا الاقتصادية . فيبنا يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين طوال

المدة التي تسلموا فيها مقدراتنا لنشر الديمقراطية الصحيحة ، ديمقراطيتهم هم التي يمارسونها في بلادهم ، قد تعاونوا دائماً مع الباشوات ومن في حكم الباشوات ، وخلقوا أحياناً طبقة جديدة من الباشوات ، وأقاموا او شجعوا على قيام مظاهر وواجهات للديمقراطية البرلمانية ، فجاءت الدساتير مملوغة دائماً بسلطة ديكتاتورية لرئيس الدولة الذي كان يفرض فيه الولاء لهم والتعاون مع مندوبيهم السامين .. الخ

يهم « الآداب » ان تعيد القول هنا بانها تطلق لكتّاب هذا الباب الحرية كلها في الادلاء بأرائهم حول مقالات المجلة دون ان يكون في ذلك ايّ تعبير عن رأيها الخاص . فعلى الكاتب وحده تبعه مايقول ، ولكل قاريء الحق في الرد على الكاتب .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم السبب دائماً في ان ظلّ العرب « وجهاً لوجه مع مشكلات قومية واقتصادية وسياسية » وهم الذين بعد ان اعترفوا باستقلال بعض البلدان العربية وسيادتها « تركوا فيها ، عن طريق معاهدات مفروضة ، أوتاداً أشد وطأة وخطراً من أوتاد جحا ، وهذه الاوتاد ، التي من السخف والبطل تشبيهها بالمطارات الاميركية مثلاً على الارض البريطانية ، ليس من اقل آثارها انها تحفر في قلوب المواطنين أخاديد ملامى بذكريات الماضي ، ماضي الاستعمار البغيض ، وهذه الاوتار بالذات ، هي التي كانت بمثابة حجر يلقى دائماً في مياه الحياة الداخلية العربية ليعصر صفوها ، ويجعل رواسها تطفو على السطح ، فيختصم السياسيون ويقتلون ويصرفون صرفاً عن ترتيب البيت وتجميله .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين هم الذين سدّدوا لنا « الضربة التي زعزعت الكيان العربي ،

وهدمت ركناً من أركانه ، ركناً كان يقوم وسط الهيكل هي إسرائيل .

وبينا يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم « الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي » .

أقول : بينا يرى الكاتب ذلك كله في هؤلاء الغربيين المستعمرين ، إذا به يرى ان « جانباً من الخير حمله الغريون الى هذه البلدان المحتلة ، جانباً جعل للاستعمار نصيباً من اسمه الصحيح المشتق من العمران » .

ثم إذا به يقول : « إننا في حاجة إلى كفاءات فنية وإلى رؤوس أموال من الخارج » محتجاً على ذلك باننا « لا نعيش في هذا العالم على حدة ، فيجب ان نمد أيدينا إلى كل هذا ، وان نفتح صدورنا ، وان نكتب في هذه الصدور كل ما أكنته من حقد وضعف على الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي ، فليس من سياسة سليمة تبنى على الاحقاد ، وقد ولي زمن العزلة والانطواء » .

يقول الكاتب هذا ، مع انه يعلم حق العلم ان هؤلاء الغربيين المستعمرين الذين صور آثارهم السيئة في حياتنا العربية أصدق تصوير ، فيما سبق من قوله ، إنما كانوا السبب في تأخيرنا ، طوال هذا الزمن ، عن استثمار مواردنا استثماراً صحيحاً ، بصرفهم قوانا المادية والمعنوية الى التفكك الاجتماعي والانحلال الفكري والى الانقسامات الطائفية والاقليمية والعائلية ، فتعطلت أرضنا الخصبية عن الانتاج ، وظلت مساحات شاسعة منها مهلة قاحلة ، ثم انهارت صناعاتنا الوطنية التي كانت قائمة ، ولم تقم على انقاضها صناعات حديثة تلائم حاجتنا ، وتطور حياتنا ، وتندمج مع كنوز أرضنا المذخورة بالمواد الاولية للصناعة .

بلى ، لقد أقام المستعمرون في بلداننا عمراناً ، ولكنه العمران الذي هو مصدر خرابنا وانهار مجتمعنا . لقد أقاموا القصور الباذخة لحفنة من الامراء والحكام والزعماء الاقطاعيين والماليين ، وخلقوا من هؤلاء طبقة جديدة أطلقوا شهواتها العنان تمتص عرق الشعب العربي في كل اقطاره ، وتستحلب جبهده ودمه وعصبه وبؤسه ، مالا وعقاراً وجاهاً ورفاهاً وبذخاً و « عمراناً » .

وإنه لعجب أن يدعونا الكاتب الفاضل إلى كبت الحقد والضعف على هؤلاء المستعمرين ، وهو الذي صور آثارهم السيئة فينا أصدق تصوير ، وهو العارف حق العرفان ان الشعب الذي لا يحقد على مستعمري وطنه ، ومستثمري خيراته ، وناهشي

لحمه ، وشاربي دمه وعرقه ، إنما هو شعب لا يستحق الحياة ، وهو شعب لن يقدر يوماً ان يتحرر ويستقل ويسود نفسه بنفسه ابدآ . وإنه لعجب كذلك ، أن يمزج الكاتب الفاضل بين الحقد والضعف على المستعمرين ، وبين العزلة والانطواء ، وهو يعلم أوضح العلم أن الحقد والضعف على المستعمر غير العزلة والانطواء ، فنحن نستطيع ان نستغني بالكفاءات الفنية التي عندنا ، وهي كثيرة ، عن الكفاءات الأجنبية التي لا تأتي ، حين تأتينا ، الا لأغراض سياسية استعمارية لا صلة لها بالفن والخبرة قطعاً ، ونحن نستطيع ايضاً ان نستغني برؤوس الاموال الوطنية لاستثمار مواردنا ، عن رؤوس الاموال الاجنبية التي لا تدخل حياتنا ، حين تدخل ، الا لابتزاز الارباح الباهظة ، وان هذه الرساميل الاجنبية الراضحة على صدورنا منذ زمن ، اظهر شاهد على ذلك ، فهل اجدنا اكثر من انها تستولي على مرافق بلادنا الحيوية ، وتستدر خيرا من حيث تعطلها وتسيء اليها وتوجهها الوجهة التي لا تفيد منها البلاد شيئاً ؟

نعم ، نستطيع ان نستغني بكفاءاتنا الفنية ، وبرؤوس اموالنا الوطنية ، ثم نتعامل مع الاجانب ايأ كانوا ، دون ما عزلة ولا انطواء ، ونحن محتفظون بالحقد والضعف على كل اجني يقصد اليها باستعمار او استعباد او استثمار ، لسكي نستطيع بالحقد والضعف هذين ان نتحرر من العبوديات ، وان نعيش اسيا د أرضنا واسيا د انفسنا .

### مع المستشرق كراتشكوفسكي : خليل تقي الدين

- هذا حديث فيه كثير من المتعة والفائدة ، ولكن الرأي الذي نقله اليها الاستاذ تقي الدين عن المستشرق كراتشكوفسكي بشأن لحاق اللغة العربية بالاختراعات الحديثة والتعبير عنها ، ليس يخلو من بعض الغلو .

ذلك ان اللغة العربية قادرة على اللحاق بالاختراعات الحديثة والتعبير عنها ، من غير حاجة الى هذه الطريقة التي يراها المستشرق الكريم . أي أن نأخذ الكلمات الاجنبية كما هي في لغتنا الاصلية ، ثم نتركها للاستعمال يصولها ويهدبها .

فإن في صلب لغتنا العربية طاقة قوية ، كامنة في مبادئ الاشتقاق والمجاز والنحت ، مضافاً اليها مبدأ التعريب الذي يعنيه رأي المستشرق كراتشكوفسكي . وهذه المبادئ تمد اللغة العربية بالمرونة والقدرة على التكيف والتطور في كل حين . ولكن استخدام هذه المبادئ ، لا يعني فيه جهد الافراد ، فلا بد من جهود الهيئات تتضافر فيها المعرفة الواسعة والاختصاص

في مختلف فروع العلم ، الى جانب الاطلاع المكين في فقه اللغة ومفرداتها واساليبها التعبيرية والجمالية .

### الحبيب الاسمر : شعر أمين نخلة

ليس شيء في هذه القطعة يصور « الحبيب الأسمر »... ولو لم يكن هذا هو العنوان ، ولو لم تكن لفظة « اسمر » في شطر البيت الاول ، لما كان لنا ان نلمح من « سمرة » هذا الحبيب ما نشتهي ان نلمح ...

فليست القطعة - اذن - ذات موضوع ، وهذا بالذات ما انتقدته الشاعرة نازك الملائكة ، في العدد الماضي ، على « الطيب المستبد » لصالح لبكي ، وقد احسنت التعبير في نقد هذا المأخذ الشائع في شعرنا القديم ، ومعظم شعرنا الحديث .  
• ولولا « والهوى اخضر » لكان هذا البيت خفيف القدر جداً في ميزان الشعر :

النهر والجسر ثم موعدنا خلف البساتين والهوى اخضر  
اما هذا البيت :

كان في دله ومشيته غصنين جاء ، وثالثا قصر  
فأنك تستحلي جرسه ولفظاته ، ولكنك تطلب منه صورة  
لذهنك ، فكأنك تقبض الريح ... وهذا شأنك مع الشطر الثاني من هذا البيت :

مصوغة منه مهجتي قطعاً محبوكة بالقوام والمؤثر  
ويعود بنا الشاعر الأنيق المجدد الى مبالغات المتنبي « العتيقة »  
في « اغنية الوصل » :

لو يبيت العمر نهر طلا وعيبنا ، ما تروينا !

### وهم الخلود : توفيق عواد

صديقنا توفيق عواد زاهد بقيم الخبر والورق ، كافر بحقيقة الخلود ، فما « سر » هذا الزهد ، وما مصدر هذا الكفر ؟  
لو قالها غير توفيق عواد ، لقلنا : ليس هذا زهداً ولا كفرة ، ولكنها انطفاء الشعلة المقدسة : شعلة الفن !  
أفهل تكون « لنعمة » الوظيفة يد في « زهدك » و « كفرك » يا أبا ربيع ؟

### الى عينين شماليتين : نزار قباني

ونزار قباني في لندن ، وفي عمل له سياسة لنذن الف سبب ونسب ، ولكنه - ساحم الله - لا يرى هناك إلا « عينين شماليتين » .. ولكن هذا الختام ؟ :

تاهت بعينها !. وما علمت أني عبدت بعينها وطني  
وطنك - يا نزار - يحتاج اليوم الى عبادة .. ولكن

عبادة الحربة ، لا عبادة « عين » خضراء ، أو « زرقاء » في لندن !

### شعرة : محمد محمود عماد - القاهرة

أهذا شاعر ، ويعيش في القاهرة هذه الايام ، ويلهو بشعرة سقطت على صدره من رأس امرأة ؟

لا ، لن أصدق ، فاذا كان محمد محمود عماد شاعراً - ويظهر أن هذا صحيح - فليس هو من القاهرة ، ولا من مصر ، ولا من اي بلد عربي ، ولعله من المربخ ، او جزر « وواق الواق » !

### الشرقي الجديد وميراثه القديم - أنيس المقدسي

يعجبني في هذا الأديب الشيخ أنه يعيش زمنه شاباً فتياً ، فهو يتطور مع الزمن ، وهو بهذا التطور يدرك سير الحياة ، ويحس حركة التاريخ ، وتجري مفاهيمه الفكرية طبيعة مرنة لا تتجمد ولا تتصلب ، ولا تتكلمش .  
هكذا هي ، على الأقل ، في هذا المقال المركز التفكير .

### معنى القومية العربية : الدكتور عبد العزيز الدوري

من الخير ، كل الخير ، ان يكون باحث مثل الدكتور الدوري ، قد بدأ تفكيره القومي ينظر الى امام أكثر بما يتطلع الى وراء ، ولكنه ما يزال يتطلب حلول مشاكنا الحاضرة من التاريخ ، وما يزال يبتعد بهذه المشاكل عن أسبابها وعواملها الواقعية الراهنة .. فهو ما يزال يقول :

« ... ووقعنا ، بعد ذلك ، في مشاكل وهزات عنيفة لأننا لم نفهم جذور هذه الأمة ، ولم نهيء الجو الصالح لما اقتبسناه » .  
ليست جذور هذه الأمة - ياسيدي - « طلسم » يستعصي حله ، وإنما هي امة كسائر الأمم ، لها تاريخ معروف ، واضح ، مفهوم ، خضع لتيارات وتطورات تاريخية وموجات بشرية : سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية كان لكل منها ، في زمنها ، تأثيرها الخاص ، وطابعها المتميز بتميز ظروفها الزمانية والمكانية والبشرية . وهذه الأمة نفسها اليوم تقع في مشاكل وهزات معروفة المصادر والموارد .. مصادرها ومواردها جميعاً ترجع إلى امر واحد معروف : هو الاستعمار ؛ ولا شيء غير الاستعمار ، فلماذا الابتعاد عن الواقع ، المائل ، الشاخص كالعلاقات ؟

### دوامة الغبار : فدوى طوقان

أما فدوى ، فيبدو أنها تصنع « دوامة الغبار » حول ذاتها عن قصد وعمد . ويخيل إلي أنها لو عادت الى طبيعتها الشعرية ، لخرجت من « الدوامة » بشاعرية جديدة ، أكثر انطلاقاً ، واوسع افقاً ، ولعلها تستطيع حينذاك ان تعرف الحياة على غير وجهها الكالح الذي تتمله الآن ..

## القنبلة الهيدروجينية : قدرى حافظ طوقان

ما لي وللقنبلة الهيدروجينية ، من حيث تركيبها العلمي ؟ .  
ولكن ما بال استاذنا العالم يتساءل ، في مقدمة مجته هذا ، كما  
كان يتساءل جماعة الأخلاقيين ، والميتافيزيكيين ، حين كان  
يروعهم هذا التناقض بين تقدم العلم والحضارة ، وبين اضطراب  
الانسان في قبضة القلق والكرهية والاقتتال والتدمير ، ما باله  
يتساءل مثلهم هكذا :

— « ماذا جرى لعقل الانسان » ؟ هل « الانسان قد فقد  
الملاءمة بينه وبين بيئته » ؟  
هكذا كانوا يظنون الأمر .. كانوا يعلمون هذا التناقض بان  
فتوحات العلم جاءت باهرة للانسان ، على حين لم تكن « نفسه »  
مستعدة لاحتمال هذه الروعة « العقلية » ، ومن هنا اختل التوازن  
بين عقله ونفسه ، فلم يستطع الملاءمة بين حضارته وبيئته .

كان هذا التعليل ، يوم كان علماء الأخلاق والاجتماع  
يعيشون على هامش الحياة ، يوم كانت النزعة « الميتافيزيكية »  
سيده الموقف في امر تفكيرهم ، يوم كانوا يرون كل جانب في  
الحياة منفصلاً عن الجانب الآخر لا يتصل معه مجال .

أما اليوم ، فقد دخل العلم والفكر قلب الحياة ، فانكشف  
سر المعركة .. وظهر ان المسألة ليست مسألة « توازن » او  
« فقدان توازن » بين العقل والنفس ، ولكنها مسألة صراع بين  
المصالح الاقتصادية ، صراع بين شهوة الربح وحاجة العيش ،  
صراع بين الاستعمار وبين الشعوب التي انطلقت تريد التحرر  
من الاستعمار . هذا « سر » المسألة ياسيدي .

## حيال الموت : ( أقباس من تراثنا القديم )

لست أدري : ابي توافق بين اختيار هذا اللون من التراث ،  
وبين فاتحة منير البعلبكي التوجيهية ؟ . أليس هذا انجرافاً عن  
« المنهج » ؟ .

أليس في تراثنا القديم ، خير من هذه الفلسفة البالية للموت  
والحياة ، هذه « الجرعات » من الافكار المهدرة تملأ النفوس  
يأساً وقنوطاً واستسلاماً ؟ . أيكفي أن يكون هذا الشعر  
عذب النغم ، حلو السبك ، وهو « السم » الزعاف أثراً ؟

## الرمس القائم : ذو النون ايوب

هذه قصة من جوهر « المنهج » ، أتراها تشفع باختيار  
« حيال الموت » ؟ .

إني لارى في « ذو النون » ، هذه المرة ، حرارة ذات طاقة  
هائلة ، ووهج عارم ، فمن اين لك هذا « الجديد » يا صديقي ؟ .

## مصراع عنكبوت : مصطفى محمود

ها قد بدأ الشاعر الملمهم يخرج من « شبكة العنكبوت »  
فيرى إلى « جراد الفساد ينتشر » .

وأفاعي الحرمان جائعة تتلوى فيظفر الشرر ...  
ولكنه ما يزال في اول « الصدمة » ، ومن هنا تراه يلهج  
« بالنسيان » و « الكفر » ، ومن هنا يخيل اليه ان « عقود  
الآمال تنتثر » .

وسيصحو من « الصدمة » ، وحينذاك سيرى هؤلاء الذين  
هم في عينيه الآن « عنكبوت بشر » قد استحالوا عمالقة ضخاماً  
يملاؤن الآفاق ... .

## فن التصوير والمجتمع : مصطفى فروخ

هذا رجل مجاهد ، فقد ادرك رسالة الفن ، وادرك صلتها  
بالحياة والناس ، فامتألت نفسه إيماناً بها ، وعمر فن الحياة ضميره  
وطنية وحباً وخيراً وصدقاً .

## المحسنون : حارث طه الراوي

هذه حكاية « المحسنين » حقاً ... لقد صورها حارث  
— سلمت يده — من أقرب « الاشياء » تناولاً للمصور الشاعر  
الذي يحيا في مجتمع يكثر فيه « المحسنون » ... بقدر ما يكثر  
فيه اليتامى الجائعون المشردون ! .

## واقع الكتاب العربي : بهيج عثمان

... وأراني اجتزت « ظلال على بعلبك » لأننا أظننا الوقوف اجيالاً  
كبيرة تحت هذه « الظلال » وعجت للصدى خليل الهنداوي— وهو الاديب  
الحى — ان يعود الى « ظلال بعلبك » في هذا الزمان و « القافلة » تسرع  
بالسير ...

وأراني أجتاز « الخطى الحائرة » للشاعر التونسي ، محمد عربي صمادح ،  
لان خطى تونس اليوم ليست حائرة ، فقد عرفت الطريق ، ومشت على اسم  
الله — ولن تعود ، ولن تقف ، ولن تتحير او تردد ، فليق الشاعر وحده  
— اذن — في « الخطى الحائرة » .

ولقف قليلاً مع بهيج عثمان يحدثنا عن « واقع الكتاب العربي » .  
هوذا يحدث عن خبرة وتجربة ومعاناة ، هوذا يقول للمنخلفين ، والمجددين  
و « المقنعسين » : ليس الكتاب العربي في محنة ، وانما المحنة في رؤوسكم انتم ،  
وفي نفوسكم انتم يا هؤلاء !

هوذا بهيج يقول لاولئك الذين طالما تجنوا على القارىء العربي انواعاً  
من التجني :

— إن « ظهور عدد من الكتب التي سرت الغور ، اكثر مما قاست  
السطح ، والتي امتدت عمقاً حتى بلغت الجذور اكثر مما ذهبت عرضاً — إن  
ظهور هذه الكتب ، يبدد ظن القائلين برغبة القراء في السهل القريب المبسط دائماً .

ولكن ازمة الكتاب العربي الواقعية ، هي ازمة الحرية وحدها ، كما ادركها  
بهيج عثمان بتجربته وتجربته ومعاناته ، وكما نعرفها جميعاً ، في محنة الحرية التي  
نعانها جميعاً ! .

حسين مروه